صحـــة

صحة رئيس الوزراء جيدة ، والله عز وجل ، خليق أن يحمد على ذلك . والله عز وجل خليق أن يمن على رئيس الوزراء من هذه الصحة الجيدة بالمزيد ، ولكن رئيس الوزراء مازال بعيدا عن مصر ، معتزلا للعمل ، يتنقل فى طلب الراحة بين المدن والقرى فى فرنسا وسويسرا ، برغم صحته الجيدة ، لأن حظه من هذه الصحة الجيدة لم يبلغ بعد أن يمكنه من العودة إلى مصر والنشاط للعمل ، والأخذ فى تصريف الأمور .

وصحة وزير التقاليد جيدة ، ولكنه مقيم الآن فى فيتل ، يستحم فى الصباح ، ويستحم فى المساء طلبا للراحة والاستشفاء .

وصحة وزير الزراعة جيدة ، ولكنه يطوف أقطار الأرض فى رحلة بعضها للاستشفاء وبعضها للاستكشاف . وقد حدثتنا الأنباء بأنه فى بوادبست يلقى ما هو أهل له من الإكبار والتكريم قبل أن يسعى إلى تلك المدينة أو إلى تلك القرية التى يجد فيها ما هو فى حاجة إليه من الراحة والاستشفاء .

وصحة وزير الداخلية جيدة ولكنه مقيم فى داره ، لازم لها منذ أيام يصرف منها الأمر ، ويدبر منها شئون وزارته بمقدار ما تسمح له صحته الجيدة .

فأربعة من وزرائنا بينهم صاحب الدولة الرئيس يستمتعون – والحمد لله – بصحة جيدة ولكن ثلاثة منهم لا يعملون ، لأنهم فى حاجة إلى الراحة التامة وقتا طويلا أو قصيرا . ورابعهم يعمل نصف عمل أو أكثر من نصفه قليلا أو دون نصفه قليلا . وأمور الدولة فى حاجة واضحة ملحة إلى أن يفرغ لها وزراؤنا العشرة بياض النهار ونصف سواد الليل ، أو أكثر من نصفه قليلا أو دون نصفة قليلا .

كوكب الشرق فى ١٠ – ٨ – ١٩٣٣

فالأمن مع الأسف مضطرب(١) أشد الاضطراب ، يقتل الناس ويصرعون وتقتحم الدور ، ويؤخذ ما فيها ، والنهار مبصر ، وعدد الجند قليل . والأجنبى باسط يديه إلى أقصى ما يستطيع أن يبسطهما ، يعتدى على المصريين فى دينهم وأخلاقهم وأعراضهم وقوميتهم . والناس يصيحون فلا يسمع لهم أحد ، ويستغيثون فلا يستجيب لهم مغيث . وفرنسا تأبى وتشارك إيطاليا فى هذاالإباء إلا أن تؤدى مصر دينها ذهبا ، لا تقبلان كلاما فى الورق ، ولا تظهران ميلا إلى ذكره أو التحدث فيه . وتستطيع أن تحصى ما شئت من هذه الأخطار والمعضلات التى يكفى بعضها لتفرغ له الوزارة بياض النهار وسواد الليل . فكيف بها إذا اجتمعت وانضم بعضها إلى بعض ، وزاد بعضها فى تعقيد بعض .

فإذا أضفت إلى هذه المعضلات أعظمها شرا وأشدها نكرا ، وهو هذه الأزمة الاقتصادية التى لا تريد أن تنحل حتى تأتى فى مصر على كل شىء ، عرفت أن جهود الوزراء مهما تكن فهى أيسر وأضعف من أن تكفى لعلاج ما نحن فيه من الشر ، فكيف إذا كانت هذه الوزارة عاجزة حتى عن بذل الجهد ، ممنوعة بحكم المرض والسفر والرغبة فى الراحة والسياحة حتى من أداء واجبها على النحو اليسير المألوف الذى تؤدى عليه الواجبات فى الأيام العادية التى لا تتعرض فيها البلاد لشر ، ولا يأخذها الخطر من كل مكان .

ولكن الوزارة – والحمد لله – راضية عن نفسها ، مطمئنة إلى هذا التوفيق الذى ظفرت به فى دفع هذه الأخطار ، وحل هذه المشكلات . وأى دليل أوضح ، وأى برهان أجلى على أنها قد وفقت كل التوفيق من أنها لا تزال قائمة مستمتعة بمناصب الحكم ، مسيطرة على أمور الدولة وشئونها كلها كأحسن ما تسيطر الوزارات على الأمور . فليس المهم فيما يظهر أن يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم ، ولا أن تأمن مصر على ميزانيتها ، ولا أن تأمن مصر على كرامتها وحرماتها ، ولا أن تنفرج الأزمة عن المصريين قليلا أو كثيرا . ليس هذا هو المهم فيما يظهر ، وليس هذا هو المقياس الذى به نجاح

---

(١) كثرت الحوادث الجنائية فى الأقصر فمنها حادثة السطو على سيارة البعثة الأمريكية وإطلاق الرصاص على سائقها . ثم قتل المرحوم الشيخ أحمد محمد خليفة من أعيان الجهة فى وضح النهار . وجناية فظيعة تقشعر منها الأبدان ، فقد قتل جناة متوحشون شابا من الوجه البحرى وفصلوا رأسه وقطعوا جسمه ثم وضعوه فى كيس وألقوا به بعد ذلك فى ساقية . فعرفت الجناية بعد أن تعفنت الجثة فى الماء .

وهاجمت جماعة مسلحة من اللصوص فى منتصف الليل منزل الشيخ يوسف أحمد حسن وبعد أن سلبوا حلى زوجته ربطوها بالحبال ، ثم أشعلوا النار فى المنزل (البلاغ فى ٢٨ – ٧ – ١٩٣١)

الوزارات وتوفيقها . وإنما المهم الذى ليس فوقه مهم ، والمقياس الذى ليس يشبهه مقياس لصلاح الوزارات ونجاحها هو بقاؤها فى مناصب الحكم . فما دامت وزارتنا باقية فهى موفقة كل التوفيق ، فائزة كل الفوز ، كذلك تقول صحيفة الوزارة صباح اليوم .

وصحيفة الوزارة مصيبة فيما تقول ، مصيبة خقا لا شك فى ذلك ولا ريب . فإذا لم يكن بد من أن نقيم لك الدليل على أنها مصيبة جد مصيبة فينبغى أن نذكر هذه النظرية التى مهما ينكرها رجال الدين فهى نظرية علمية على كل حال ، وهى نظرية دروين فى بقاء الأصلح ، فلولا أن الوزارة صالحة ما بقيت ، ولولا أن الوزارة قد وصلت إلى أقصى حدود الصلاح ما طال بقاؤها . وإذن فينبغى أن تستحى المعارضة وأن يستحى المعارضون ، وأن يؤمنوا بأن الوزارة القائمة إنما هى ضربة لازب على مصر ، لا مهرب منها ، ولا سبيل إلى التخلص من بقائها لأنها نتيجة طبيعية لتنازع البقاء ، ولبقاء الأصلح . بل ينبغى أيضا فيما ترى صحيفة الوزارة أن تقدر المعارضة والمعارضون لرئيس الوزراء ولزملائه جهادهم فى سبيل مصر وما بذلوا وسيبذلون من التضحية فى هذا الجهاد . فلو قد كانت أمور مصر إلى رجل غير صدقى باشا لآثر الراحة على العمل ، والصحة على المرض ، والاستقالة على النهوض بأعباء الحكم بعد أن ألم به هذا الطائف الثقيل الذى اضطره إلى داره شهرا ، والذى يضطره الآن إلى الاستشفاء من وراء البحر .

ولكن رئيس الوزراء يؤثر الشعب[1] على نفسه ، ويؤثر سعادة مصر على سعادته ، وراحة مصر على راحته فيتحمل المرض الطويل ولا يستقيل ، وإن لم يعمل شيئا أثناء هذا المرض الطويل . وأن يتقاضى أجره على الراحة أثناء هذا المرض الطويل وإن كلف الدولة أموالا للاستشفاء من هذا المرض الطويل فيكفى أنه جمع بين المرض والاحتفاظ بالمنصب ليكون مؤثرا لمصر على نفسه ، مضحيا فى سبيل مصر بأحب الأشياء إليه وأعزها عليه .

وأبلغ من هذا كله أن رئيس الوزراء سيعود إن شاء الله موفور الصحة فى آخر الشهر المقبل فيستأنف العمل فى الاسكندرية . وقد حدثتنا الصحف أنه تقدم أو سيتقدم إلى زملائه بأن تبقى الحكومة فى الاسكندرية ما أقام فيها حضرة صاحب الجلالة الملك حتى لا يتكلف الرئيس الانتقال إلى القاهرة قبل أوانه ، ولا يحتمل السفر قبل إبانه . ومعنى ذلك أن الدولة ستتكلف ما تتكلف من الإنفاق عليه وعلى زملائه هذه النفقات الإضافية

---

(١) الأصل الصمت ولعل الصواب ما أثبتناه

التى تستلزمها إقامة الحكومة فى الإسكندرية حرصا على صحته وتمكينا له ولزملائه من التضحية فى سبيل مصر والاستمرار فى إيثار مصر على أنفسهم وراحتهم

فإذا كانت هذه الجهود الموفقة ، واذا كانت هذه التضحيات المرهقة لا ترضى مصر ولا تكفيها فويل لمصر من الجحود ، وويل لمصر من العقوق ، وويل لمصر من إنكار الجميل .

أما أنا فأشهد أن الوزارة مجاهدة ، وأن الوزارة مضحية ، وأن مصر خليقة ان تعرف لها هذا الجهاد وتحمد لها هذه التضحية ، وتمد لها فى أسباب هذا البقاء المريح الطويل لتضيف جهادا إلى جهاد ، وتضحية إلى تضحية .

وإذا عاد رئيس الوزراء سالما موفورا إن شاء الله فإن مصر خليقة أن تحوطه وترعاه ، وتسهر على راحته فى الاسكندرية حتى إذا لم يبق بد من عودة الحكومة إلى القاهرة فإن مصر خليقة أن تضرع إلى رئيس الوزراء فى أن يعود إلى أوربا ليستريح فى الشتاء كما استراح فى الصيف . وما أجمل الشتاء فى « نيس » أو قريبا من « نيس « وما أشد عقوق مصر إذا لم تلق الجميل بالجميل ، والخير بالخير ، ولم تبذل ما تملك وما لا تملك لتمكن رئيس وزرائها من أن يجاهد فى سبيلها جهادا متواصلا ، ويضحى فى سبيلها تضحية لا آخر لها .

يجب أن يطمئن أنصار الوزارة فمصر أكرم على نفسها من أن تأثم فى حق المجاهدين ، ومصر أعز على نفسها من أن تنكر فضل المضحين . ومصر تعرف كيف تكافىء الذين أخلصوا لها وتجزى إخلاصا بإخلاص ، وتضحية بتضحية فيستمر رئيس الوزراء محتفظا بمنصبه أعواما وأعواما . ومهما يحاول رئيس الوزراء أن يستقيل فلن تقبل مصر أن يستقيل . وكيف تقبل مصر أن يستقيل ؟ ومتى بلغت مصر من السذاجة والغفلة أن تفرط فى رجل جاهد فى سبيلها وضحى كما يجاهد رئيس الوزراء ، ويضحى منذ ألم به هذا المرض البغيض الثقيل .